Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا ابن سلام يجعل الذوق هو الفيصل الأول فى الحكم على الشعر ، ولكنه يشترط أن يكون الذوق مرتبطا بالخبرة والعلم والمران ، ولذلك ينعى على الذين يزاولون النقد أو الرواية دون أن يتمتعوا بما يؤهلهم لذلك[٣٨] وقد حمل حملة شديدة على ابن اسحاق صاحب سيرة النبى ، لأن جهل ابن اسحاق بالشعر جعله كحاطب ليل يخلط بين الصحيح وغير الصحيح فى الرواية ، ومثل هذه الحملة حملها الآمدى على الذين يدعون علم الشعر بغير حق ، لأنهم يفتقدون الذق فى نقد الشعر[٣٩] ويضرب البغدادى مثالا لهؤلاء الدخلاء على النقد الأدبى السليم بمروان بن أبى حفصة الذى كان يقول عن كل شاعر يسمعه : هذا أشعر الناس[٤٠] ويشرح ابن سلام لنا تصوره للناقد الأدبى ، ولطبيعة النقد نفسه ، موضحا أن النقد ليس إلا ذوقا ، ولكنه لابد أن يكون ذوق الخبير الذى اكتسب ذوقه من طول المران حتى أصبح النقد حرفة له ، ومعنى هذا أنه يجمع بين الذوق فى طبعه واستعداده ، وبين المران والخبرة ، ويضرب ابن سلام لهذا أكثر من مثال ، ومن ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصيغة ولا وزن ، دون المعاينة من البصير ، وكذلك الدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون ولا مس ولا طراز ولا حس ولا صفة ، ويعرفها الناقد عند المعاينة ... ويضرب أيضا مثالا بالجارية ذات أوصاف كثيرة من الجمال والمزايا ، فيكون ثمنها مائتى دينار ، وأخرى قد لا يجد واصفها مزيدا من الوصف عن الأولى ، ولكن ثمنها يكون ألف دينار ...[٤١] وكل هذه الأمثلة تدور حول الذوق ، وأنه المرجع الأصلى فى النقد وفى الحكم بالجودة أو الرداءة ، حيث يركز ابن سلام على أن الشيئين يكونان أحيانا بصفة واحدة فى ظاهر أمرهما ، وفى الصفات المحسوسة لكل منهما ، فلا توجد فوارق مادية أو محسوسة للمفاضلة بينهما ، ومع ذلك فإن الناقد الخبير بمجرد ذوقه النقدى يكتشف أن بينهما فرقا كبيرا وجوهريا ، ويستشهد ابن سلام على ذلك بقول قائل لخلف الأحمر وهو من أبرز أعلام الشعر والنقد فى عصره : إذا أعجبنى شعر واستحسنته فما أبالى ما قلت فيه أنت وأصحابك ، قال خلف : إذا أخذت درهما فاستحسنته فقال لك الصراف إنه ردىء ، هل ينفعك استحسانك ؟ .

والواقع أننا حين نتتبع اتجاه القدماء فى النقد نجد أنهم يتفقون صراحة أو ضمنا على أن الذوق هو المقياس الأصلى والأهم فى النقد ، ولذلك كانت أحكامهم على الشعر ونقده قائمة فى مجموعها على الذوق ولذلك يسخر ابن الأثير من ذوق ابن جنى فى شرحه لبعض أبيات المتنبى[٤٢]